لا بد لإثبات بدء شهر رمضان ونهايته من رؤية الهلال أو إكمال الشهر ٣٠يوماً، لقول النبي ﷺ : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته). ولا يجوز شرعاً أبداً اعتماد الحساب الفلكي بالنسبة لشهر الصيام، والأدلة كثيرة وواضحة على عدم صحة إثبات بدء شهر رمضان ونهايته عن طريق الحساب الفلكي وعلماء الفلك.

ويحاول الإعلام إيهام الناس أن الحساب الفلكي دقيق جدًّا حتى بأجزاء الثانية، والحقيقة أن الحساب الفلكي دقيق جدًّا في أكثر الأمور، وغير دقيق في بعض المسائل القليلة، ومن هذا القليل إثبات رؤية الهلال للأشهر القمرية [وفي هذا إعجاز للإسلام]، ولن نخوض في السبب والعلة ولكن سأسرد الأدلة الواضحة والمختصرة والمفهومة للجميع على هذه المعلومات، ومن أراد التوسع فليرجع لكتب الفلك المتخصصة:

- ✓ إن التقاويم الموجودة بين أيدينا كلها تعتمد الحساب الفلكي في تحديد الأشهر القمرية كلها بما فيها شهر رمضان، ولو أحضرنا تقاويم مطبوعة في عدة دول بحيث تعتمد على هيئات فلكية عالمية مختلفة لوجدنا أن هذه التقاويم قد تختلف وقد تتفق في إثبات يوم بدء رمضان، وكذلك قد تتفق وقد تختلف في نهاية رمضان، وقد تختلف كذلك في سائر الأشهر القمرية، ويمكن إحضار هذه التقاويم من الإنترنت أو التوصية عليها.

- ✓ التجربة أكبر برهان، فقد حصلت في سنوات كثيرة أن اختلف علماء الفلك هل يكون اليوم رمضان أم غداً؟ وقد حصلت في سنوات كثيرة أن أكّد علماء الفلك على استحالة رؤية الهلال في اليوم الفلاني ثم يَرَى الهلالَ مئاتٌ من الناس في دول مختلفة.[1]

- ✓ إن الاختلاف بين علماء الفلك ليس محصوراً في الأشهر القمرية فقط، بل إنهم يختلفون حتى في مواقيت الصلاة، وهذا يمكن معرفته لجميع من لديه على حاسبه "الكمبيوتر" برنامج عالمي لأوقات الصلاة، ادخل إلى إعدادات البرنامج وعيّن بالضبط مكان وجودك[2]، فستجد أن البرنامج يسألك: هل تريد حساب أوقات الصلاة لهذا الموضع بالضبط بحسب تقويم أم القرى السعودي، أم الهيئة المصرية، أم الهيئة الباكستانية، أم الهيئة الأمريكية، أم بزاوية ميلان الشمس ......

- ✓ إن الإسلام قد ربط الصيام برؤية الهلال، ولم يربطه بولادته أو أي شيء آخر، لذلك فعلينا السمع والطاعة، فكل أحكام صيام رمضان نسمع فيها ونطيع بدون نقاش أو اقتناع، فإن نفّذنا جميع أحكام الصيام صح صومنا ونلنا الأجر، وإلاّ فلا. وهذا الأمر ليس محصوراً في رمضان فقط، فصلاة المغرب مثلاً مرتبطة برؤيتنا غروب قرص الشمس في الأفق عن النظر، وليس مرتبطاً بالحساب الفلكي، فإن علماء الفلك متفقون على أن الشمس عندما نراها قد غربت فهي في الحقيقة قد غربت منذ ثمان دقائق، فهل يصح بعد هذا أن نفطر ونصلي المغرب قبل رؤيتنا لغروب الشمس اعتماداً على حساب الفلكيين؟ لا أظن مسلماً يقول بهذا، وإن كنتُ لا أستغرب ظهور مثل هذه الفتاوى في مستقبل الأيام.

- ✓ قال العالم الفلكي الأمين محمد كعورة: كثيراً ما اختلفت الدول الإسلامية في بداية ونهاية شهر رمضان، بل إن رؤية هلال شهر رمضان أصبحت من المشاكل المزمنة التي لم يجد لها العالم الإسلامي حلاً بعد، والسبب الأساسي في ذلك هو ما سبق أن ذكرت من أن حركة القمر معقدة للغاية، ويكاد يكون في حكم المستحيل وضع تقويم مضبوط للشهور العربية؛ لأن مواقع الأرض والقمر والشمس لا تتكرر في فترات منتظمة، إن الحل في رأيي لهذه المشكلة التي أساء الخلاف فيها إلى سمعة العالم الإسلامي هو أن يعتمد المسلمون على الرؤية، وذلك يتمشى مع الدين كما جاء في الحديث الشريف "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين".

---

[1] لمن أراد التحقق من هذا الكلام فليتابع بنفسه في كل عام ما يقوله علماء الفلك في السعودية وفي مصر وفي باكستان وفي أمريكا، وسيجد أنهم إما أن يتفقوا وإما أن يختلفوا، فالمهم أنهم ليسوا دائماً متفقين، وكل واحد منهم يقول بأن كلامه دقيق بأجزاء الثانية، فلو أخذنا بكلامهم ستفترق الأمة، ولمزيد من التأكيد سأنقل لكم كلام عالم الفلك المعروف في العالم وله كتب في علم الفلك مترجمة ومنشورة في العالم وهو الأمين محمد كعورة حيث قال:
والذي حدث في موعد بدء صيام رمضان لعام ١٣٨٩هـ يستحق الذكر، ألا وهو أن بعض الدول الإسلامية – أي: الجمهورية العربية المتحدة بالذات – اعتمدت على حساب الفلك والأرصاد في أن هلال رمضان لن يولد قبل منتصف ليلة الاثنين - أي لا تمكن رؤيته مساء الأحد - ، ولكن الذي حدث أن رؤية الهلال ثبتت في السعودية وبعض الدول الأخرى في مساء الأحد".
ومن ذلك ما حدث أيضاً في هلال شهر شوال في عام ١٤٠٦هـ ، فإن الحاسبين أعلنوا النتيجة في الصحف باستحالة رؤية هلال شوال ليلة السبت الثلاثين من رمضان، فثبت شرعاً بعشرين شاهداً على أرض المملكة العربية السعودية في مناطق مختلفة في عاليتها وشمالها وشرقها، ورؤي في أقطار أخرى من البلاد الإسلامية.
ومن ذلك أيضاً ما حصل في عام ١٤٠٧هـ حيث أفاد الدكتور علي عبندة - مدير الأرصاد العامة وعضو لجنة المواقيت في وزارة الأوقاف الأردنية - بأن الحقائق العلمية تؤكد عدم إمكانية رؤية هلال رمضان مساء الإثنين مطلقاً، حيث أفاد أن الهلال يغيب قبل غروب الشمس بحوالي ٢٠ دقيقة، ومع ذلك فقد ثبتت الرؤية لهلال رمضان في ليلة الثلاثاء لدى مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية.
وآخر ما حصل في هذا الشأن - حسب وقت كتابة البحث - ما حصل في ثبوت شهر شوال لعام ١٤٢٥هـ ، حيث إن الفلكيين نُشرت أقوالهم في الأسبوعين الأخيرين من رمضان، ويفيدون أن هلال شوال لا يمكن أن يُرى مساء الجمعة، وأن شهر رمضان سوف يكمل، وأن أول أيام العيد هو يوم الأحد، ومن ذلك ما ذكرته صحيفة الجزيرة السعودية يوم الثلاثاء ١٩\٩\١٤٢٥هـ عدد [١١٧٢٣] ، تحت عنوان [السبت ٣٠ رمضان متمم لشهر رمضان، والعيد الأحد لتعذر رؤية الهلال مساء الجمعة] ، حيث ذكرت الصحيفة أن الدكتور زكي بن عبد الرحمن المصطفى - مساعد المشرف على معهد بحوث الفلك والجيوفيزياء ورئيس قسم الفلك بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية - أوضح أن رؤية الهلال مساء يوم الجمعة ٢٩ رمضان ١٤٢٥هـ متعذرة وغير ممكنة في جميع مناطق المملكة؛ وذلك لكون القمر يغرب قبل غروب الشمس مساء ذلك اليوم، وقال الدكتور زكي المصطفى: إن الشمس تغرب عن مكة المكرمة يوم الجمعة [ليلة السبت] الساعة الخامسة وأربعين دقيقة، ويغرب القمر الساعة الخامسة وإحدى وثلاثين دقيقة، وعليه فإن يوم السبت ١٣ نوفمبر ٢٠٠٤م سيكون - بإذن الله تعالى - المتمم لشهر رمضان [ثلاثين يوماً] وأن يوم الأحد الموافق ١٤ نوفمبر ٢٠٠٤م أول أيام عيد الفطر المبارك ا.هـ وبعد أسبوع من هذا الخبر نشرت نفس الصحيفة- أي في يوم الثلاثاء ٢٦\٩\١٤٢٥هـ عدد [١١٧٣٠] - مقالاً تحت عنوان [الأحد المقبل أول أيام العيد فلكياً] ، نقلت فيه عن المهندس محمد شوكت عودة - نائب رئيس لجنة الأهلة والتقويم والمواقيت في الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك - أن الأحد الموافق ١٤ تشرين الثاني هو أول أيام عيد الفطر، وقال: إن الاقتران المركزي لشهر شوال لهذا العام سيكون يوم الجمعة الموافق ١٢ تشرين الثاني في الساعة ٢٧ : ١٤ بالتوقيت العالمي ومن المستحيل رؤية الهلال في ذلك اليوم من جميع دول العالم الإسلامي لغروب القمر قبل غروب الشمس ا.هـ ، هذا ما اطلعت عليه من أقوال الفلكيين حول دخول شهر شوال، ويحتمل أنهم قالوا أكثر من ذلك، وما نقلته لك يفيد أن الفلكيين متفقين على أن هلال شهر شوال لا يمكن أن يُرى مساء يوم الجمعة - حسب حساباتهم الدقيقة كما يذكرون - ، ومع هذا كله فقد رُؤي هلال شهر شوال مساء يوم الجمعة في المملكة العربية السعودية، وشوهد في أكثر من منطقة، وشهد برؤية هلال شوال مساء يوم الجمعة أكثر من عشرين شاهداً، منهم اثنان أتيا إلى نفس مكتب مجلس القضاء الأعلى في الرياض - كما أوضح لي ذلك المسؤول في مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية - وبذلك يكون شهر رمضان ناقصاً غير تام، ويكون يوم السبت هو أول أيام العيد، وليس كما قالوا، وبذلك يتبين أن حساباتهم ليست دقيقة إطلاقاً، وإنما هي ظنية.
ومن الشواهد المعاصرة أيضاً على ذلك أنا رأينا بعض البلدان الإسلامية تعلن الصوم والفطر بموجب الحساب الفلكي، والفارق بينها وبين البلدان التي تثبته بالرؤية يومان أو ثلاثة، فهل يكون في الدنيا فارق في الشهور القمرية الشرعية كهذه المدة؟!

[2] بعض البرامج تعطيك إمكانية تعيين مكان وجودك بالمتر الواحد من خلال خط الطول وخط العرض بأجزاء الدرجة والارتفاع عن سطح البحر